الرواية وتخييل التاريخ

د. طارق غرماوي*
كلية الآداب جامعة محمد الأول
وجدة – المغرب

تاريخ الارسال: 2018-07-18 / **تاريخ القبول:** 2018-11-22 / **تاريخ النشر:** 2020-01-30.

- الملخص:
أضحى التراث التاريخي يشكل أحد أهم الروافد النصية،ومنبعا من المنابع الثرة التي أمدت الرواية العربية بصيغ وأنماط سردية، ومظاهر أسلوبية تليدة منحدرة من صلب موروثنا الثقافي العربي الأثيل، ما تزال محتفظة بزخمها وقدرتها على التعبير عن الواقع،وعلى التواصل مع ذاكـــرة الـــقارئ الثقافية،وأكسبتها، بالإضافة إلى ذلك، أصالة وفرادة جعلتها تنفلت من طغيان أشكال الرواية الغربية، التي تحولت إلى أنماط مقدسة عند جم غفيرمنروائيينا.غير أن تعالق الفن والتاريخ في الرواية العربية يثير،في العديد من السياقات، الكثير من الالتباس حول طبيعة هذا الالتقاء، وحدوده،والغاية المأمولة منه.

- الكلمات المفاتيح: الخطاب الروائي -التاريخ- تخييل التاريخ.

- Résumé :

Le patrimoine historique constitue désormais l'une des sources les plus importantes en terme de textes dans le sens où il a doté le roman arabe de formes narratologique et stylistiques libres, provenant directement de notre richissime héritage culturel arabe. Ce legs a permis de dépeindre la réalité et de communiquer avec la mémoire culturelle du lecteur et l'a doté, outre, une authenticité et une singularité qui l'ont bel et bien libéré de l'hégémonie des formes romanesque occidentales mythifiées par grand nombre de nos romanciers. Cependant, la corrélation de l'art et de l'histoire dan le roman arabe suscite dans de nombreux contextes beaucoup d'ambiguïté sur la nature de cette corrélation, ses limites et ses finalités

- **Mots clés :**Le discours romanesque- L'histoire- La corrélation de l'art et de l'histoire.

تماس الرواية والتاريخ:

يُعرّف السرد بكونه "بنية لغوية تتعلق بحدث تاريخي أو خيالي أو أكثر، يقوم بتوصيله واحد أو اثنان أو عدد من الرواة لواحد أو اثنين من المروي لهم"[1]. وبحسب هذا التعريف، يشكل السرد أساساً مشتركاً بين الرواية والكتابة التاريخية؛ فكلاهما ينهض على السرد أو الحكي.وكل من المؤرخ والروائي يعرض حدثا تنجزه شخصية ما، في زمن ما، ومكان ما. وعلاوةعلى خاصية السرد يتقاسم التاريخ والرواية كثيراً من التقاليد السردية على رأسها الحبكة القصصية؛ إذ إن رواية الأحداث التاريخية لا يمكن أن "تشكل تاريخا إذا لم تكن مسرودة في نسق قصصي مكتمل"[2]. ففي تراث الدراسات التاريخية الغربية،يتم التمييز بين ثلاثة أشكال لرواية الواقع هي: الحوليات والأخبار والتاريخ.

فالحوليات (annales) مشتقة من أصل لاتيني هو annalis ومعناه سنويا.

والأخبار (chroniques)تعود إلى الأصل اليوناني chronika وتعني زمنيا.والمصطلحان معا (الحوليات والأخبار) يحيلان إلى فكرة الزمن، فهما سجل أو قائمة أحداث مرتبة وفق ترتيب زمني، وإن كانت الأخبار (chroniques) تزيد على كونها تطمح إلى أن تكون في شكل قصصي دون أن تحقق ذلك.

أما مصطلح التاريخ (Histoire)، فيعني قصة وتاريخا في الآن نفسه، أي أنه يسعى إلى احتواء الأحداث في قالب قصصي وربطها في حبكة روائية. وهذا ما عناه "**بينيديتوكـــروتشه**" **(Benedetto Croce)**بالقول: "لا تاريخ بلا قص؛ كما أن الفيلسوف كانط**(Kant)** كان قـــد قـــال: إن التحليل أعمى عندما يكون بلا قص"[3]؛ ذلك لأن الكتابة التاريخية ذاتها، تقوم على تسريد الوقائع ضمن مسار زمني مترابط وذي دلالة، تتولد عنه حكاية منسجمة ذات معنى. فهي تلتقي مع السرد الروائي ذي الطبيعة التخييلية في وحدة الوظيفة بحسب "**بول ريكور**"**(Paul Ricœur)** الذي يرى أن "الطابع المشترك للتجربة الإنسانية المميز والمتفصل والمموضع من لدن فعل الحكي في جميع أشكاله، إنما هو الطابع الزمني"[4]. فلا وجود، إذن، لمحكي، سواء أكان تاريخا أم رواية، خارج الزمن فهو واقع فيه، وقائم به، ومتحرك في مجراه. إن فعل الحكي يتولى تشخيص التجربة البشرية الزمنية عن طريق وضعها في حبكة خاصة، وتدفق منتظم ،وديمومة متصلة، وهو ما يمنحها دلالتها ومعناها. ويؤكد "**هايدن وايت**" **(Hayden White)** هذا التقاطع بين الرواية والتاريخ من حيث شكل السرد ذاته: "فالتاريخ يدرك أو يشكل بوصفه حكاية تتألف من أحداث وشخصيات ومواقف. وهذه الحكاية أو هذا الترتيب والانتقاء المقصودين للوقائع ليس موجودا في الأحداث الواقعية، بل على المؤرخ أن يصوغ حبكة هذه الوقائع. كما أن عليه أن يسرد تاريخه بصياغته بطريقة معينة وبترتيب محدد؛ بأن يضع حدثا ما بوصفه سببا،وآخر بوصفه أثرا ،وبأن

ينتقي وقائع، ويغيب أخرى، بمعنى آخر عليه أن يضع "كومة" الأحداث المتناثرة والفاقدة للترابط في مسار حكائي معين؛ بحيث تكون ذات حبكة تنطوي على الترابط والمعنى معا"[5]. إن حـــديث **وايـــت** هنا يتضمن الإشارة إلى أن السرد التاريخي في كتابات المؤرخين أنفسهم ليس سردا محايدا أو بريئا لأنه يشهد تدخل المؤرخ بشكل يخل بموضوعية التاريخ وواقعيته. ولطالما أكدت الأبحاث التي درست التمثيل السردي في كل من التاريخ والأدب إلى أن السرد بوصفه نمطاً من المعرفة والتفسير هو أيديولوجي؛ إذ نجد "**هايـــدن وايـــت**" يردد: "إن الخطاب التاريخي قيمـــة متحيـــزة"[6]،أو "هو نتاج لأيديولوجية أو خيال"[7]،بينما كان "**نورثروبفراي**"**(Northrop Fray)** يرى "أن خطاطة المؤرخين حين تبحث عن الشمولية، فإنها تصبح أقرب إلى الأسطوري في الشكل، كما تقترب من الشعري في البنية حتى إن فراي نفسه يتحدث عن أنواع مختلفة من الأساطير التاريخية: الأسطورة الرومنسية التي تتأسس على البحث عن مجتمع بلا طبقات، أو الحج إلى مدينة الله، والأسطورة الكوميدية للتقدم من خلال التطور والثروة، والأسطورة التراجيدية للسقوط أو الانحدار كعمل اشبنغلر عن "**سقوط الغرب**"[8]. إلا أن تدخل المؤرخ بخياله في تحبيك الوقائع يكـــون بدرجة أقل من تدخل الروائي على نحو ما سنرى لاحقا. وبالإضافة إلى ما ســـبق، يجـــدر التذكير بالعلاقة الوشيجة التي انتسجت بين التاريخ والأدب منذ وقت مبكر من تاريخ الثقافية الإنسانية، إذ كان التاريخ على الدوام يعد فنا من الفنون وضربا من ضروب الأدب.فتاريخ "هيرودوت" لم يعتبر من التاريخ العلمي لأن ما كان يكتبه يدخل في باب القصص[9] التاريخي الذي يروى. وقد اشتهر صاحبه في أوساط المؤرخين ب"الكذاب، لأنه في حكاياته عن بلدان جال فيها، كفارس ومصر كان من حين لآخر يلجأ إلى الكذب، إما للتغلب على تعذر الخبر أو عجزه عنه، وإما قصد تشويق سامعيه وتزيين مروياته. ويبقى نص هيرودوت ،بالرغم من نقائصه في باب الدقة المعرفية، من الروائع الأدبية والمحاولات الجميلة في مجال تقريب الشقة بين الحدث والخيال وبين الواقع والممكن"[10].

وفي أوربا كـــان ينظر إلى التاريخ على أنه فن ينزع"إلى الدفاع أو التعليم. وكثيرا ما كان يقصد به في إيطاليا كسب عطف الأمراء أو التباهي بالخطابة والفصاحة"[11].

أما في الثقافة العربية الإسلامية، فالتاريخ يعد أحد علوم الأدب، وكثيراً ما كان يجمع المؤرخون بين الاشتغال بالتاريخ والاشتغال بالأدب في الوقت ذاته، كالبلاذري صاحب " **فتوح البلدان** " ، وابن خلدون صاحب "**المقدمة**"، وعبدالواحد المراكشي صاحب كتاب "**المعجب في أخبار المغرب**"، ومحمد غريط صاحب "**فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**"، وأحمد الناصري صاحب "**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**" وغير هؤلاء كثير.ومن يتصفح مؤلفات هؤلاء المؤرخين، لا يفوته أن يلاحظ توفر عنصر الحبكة الفنية والتشويق والإثارة في مروياتهم بقصد

الاستحواذ على اهتمام القراء. كما نجد هؤلاء المؤرخين يعنون بتنميق أساليبهم، وتزويقها بضروب الزينة البلاغية ؛ فكثيرا ما كانوا يخرجونها مرصعة بأساليب السجع والطباق والجناس وتشاكل الألفاظ وتشابه الفواصل مع عناية جلية بأساليب البيان العربي من ألوان التشبيه، وضروب المجاز والكناية مع تضمين كتاباتهم التاريخية الأشعار، والحكم، والأمثال وغيرها من فنون الأدب القديم حتى لتصير هذه الكتابات أقرب ما تكون إلى الأدب.

هكذا يتضح أنه ليس من سبيل إلى تجاهل العناصر المشتركة بين التاريخ والسرد الأدبي، وأن العلاقة الموجودة بينهما ملتبسة ومتداخلة ومخاتلة، حيث يصعب على القارئ فك ضفيرة الاشتباك بينهما في كثير من الأوضاع. لهذا وجب التفريق بين طبيعة عمل الروائي وطبيعة عمل المؤرخ ما دام التداخل الحاصل بينهما لا ينفي التمايزات الجلية لأحدهما عن الآخر. من هنا يأتي التساؤل : كيف يستفيد النص الروائي من التاريخ ،بوصفه معطى موضوعيا، ليشيد صرحا إبداعيا يعتمد أساساً على التخييل؟ وما هي بواعث هذه العودة إلى التراث (التاريخ) ؟وماذا يمكن أن يضيف عمل روائي يمتح مادته الأولى من التاريخ؟

الرواية وتخييل التاريخ:

إن الحديث عن تفاعل الرواية مع التاريخ، يقتضي التنبيه على أن استعادة أحداث الماضي تتم عبر صياغة فنية مخصوصة تناسب مقتضيات السرد والتخييل ومتطلباتهما. وأما المادة التاريخية الواقعية، فلا يمكن أن تحتفظ بطابعها الوثائقي التسجيلي؛ إذ ما إن تتسرب في نسيج السرد، حتى يعاد إنتاجها طبقا لشروط تختلف عن شروط تكونها قبل أن تنصهر في بوتقة التشكيل الفني، فتنفلت من اشتراطات المرجع الواقعي المرتبطة بالخطاب التاريخي ذي الطبيعة المعرفية لتكتسب وظيفة جمالية أدبية مرتبطة بالخطاب الروائي ذي الطبيعة الفنية. فالرواية وإن كانت تعب مادتها من أسفار التاريخ ومضانّه، فهي تعيد كتابة هذه المادة من منطلق آخر هو المنطلق التخييلي الرحب دون أن تحصر نفسها في مضايق الكتابة التاريخية. وهذا التصرف الفني هو ما دفع **أدوين موير** إلى القول عن رواية تخييل التاريخ :"إنها نوع زائف من التاريخ"[12].

إن الرواية تخييل بحت يعيد تشكيل الوقائع الموجودة عن طريق المزج بين الأدبي واللاأدبي، والواقع والتخييلي بغاية الاقتراب من عمق الواقع، ومحاولة القبض على جوهره بشكل جمالي لا يتطاول على فنية الرواية وأدبيتها وروائيتها. إن الرواية استقصاء للتفاصيل المنسية في مفردات الحياة الضرورية التي أهملها المؤرخون والتي لم تحظ باهتمامهم، وكي تغذي الرواية الحياة بالتفاصيل الضرورية، فإنها تلجأ إلى الخيال الذي يشتغل على الزوايا والجهات التي لا يصلها التاريخ، وقلما يفكر فيها المؤرخون. فتعمل على ملء الفراغات، وسبر أغوار المسكوت عنه، واستجلاء خباياه. فعن طريق الخيال يجوس الروائي في باطن الشخصية ويحلل نفسيتها، ويصف

عواطفها الحميمية، ومشاعرها الخاصة، على حين أن المؤرخ يضطر إلى الاقتصار على الربط بين الأفعال المشاهدة أو المروية؛ لأن نبشه في بواطن الشخصية، وكشفه عن عوالمها الداخلية الخاصة من دون استناد إلى وثيقة أو شهادة، يغمز من مصداقيته العلمية.

إن انتساب الرواية إلى عالم الفن والخيال يجيز لها إعادة تركيب الأشياء في الحياة والطبيعة بالإضافة والحذف وصياغتها على نحو مخالف للمألوف، فهي ترصد التاريخ المخبوء، وتسبر المنسي والمهمش الذي يحتاج إلى رؤية فنية عميقة للفت الانتباه إلى ما يزخر به الواقع التاريخي من مفارقات غريبة ودقيقة تنفلت من اهتمام المؤرخ؛ لأن هاجس الرواية هو الاقتراب من الحقيقة التاريخية، وتزويدنا بالجوانب الخفية للنفس البشرية، وإراقة الضوء على الزوايا المعتمة في التاريخ والقبض على الجوهري في الحياة. وهو ما عناه **ولتر سكوت** بقوله: "إن دراسة الفترة التاريخية تصبح عديمة الفائدة دون مبادئ تصلح لجميع البشر وفي كل الأمكنة"[13].

وإذا اقتصر الروائي على مجرد إعادة كتابة التاريخ، وسرد حوادث الماضي، فإنه لا يعمل إلا على اجترار الوثيقة التاريخية في صياغة أخرى فيفتقد عمله الروائي صفة الإبداع والخلق التي تمكن من التعبير عما لا يقوله التاريخ والغوص في العمق الإنساني واستظهار خباياه والكشف عن كينونته المتوارية، وجوهره المنسي. إن روائية الرواية تتجاوز محاكاة الواقع واستنساخه إلى إعادة بنائه محمَّلاً بعناصر تخييلية ورمزية يتحول معها التاريخ إلى مجرد سِدَافة أو سِجْف لملامسة ما هو عميق في التجـــربة الإنسانية. فالرواية "تُفيد مـــن أحـــداث التاريخ الفعلي الواقعي للأفراد والمجتمعات والشعوب والأحداث التاريخية، وإن تمثلتها كذلك في بنيتها الإبداعية الخاصة دون أن تصبح مجرد تاريخ أو مجرد رواية تاريخية"[14].فعندما يتسرب التاريخ الواقعي في النسيج الروائي يتحول إلى مادة طيعة يبعثها الروائي بعثاً آخر لصالح الخلق الأدبي و التخييل الإبداعي، فينصهر المضمون في الشكل ويتماهى معه؛ لأن "طبيعة الموضوع المنسوخ –يقول بارت– ليست هي التي تحدد فنا ما، بل الذي يحدده هو ما يضيفه الإنسان حين يعيد تشكيل الموضوع فتصبح التقنية هي الوجود ذاته لكل إبداع"[15].

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الســـيـــاق هو: هل يُسَاءل الروائي الذي يستمد مادته من الـــتاريخ عن التزامه بالمعطيات التاريخية وتقيده بها؟ أم أنه يملك الحق في التصرف في أحداث التاريخ؟ ألا يسيئ التخييل إلى وقائعية التاريخ؟ وهل ثمة تخوم لامتزاج المرجعي بالتخييلي؟

بدءاً، نسارع إلى التأكيد ،مرة أخرى، أن الروائي ليس ملزماً ،كالمؤرخ، بتقديم الحقائق كما هي في الواقع. ورغم ما قد يبذله الروائي لإقناعنا بأن ما يرويه هو حقيقة،إلا أن ذلك لا يخرج عن نطاق التمويه الفني للإيقاع بقارئه، وإيهامه بصدقية مروياته واستدراجه إلى عالم النص الروائي متوسلا بصناعته الفنية ومسخراً طاقته الإبداعية. إن الروائي لا يطالب بالتزامه بالتاريخ،

والإخلاص لتفاصيله، لكنه مسؤول عما قد يسيئ إلى عمله الإبداعي من عيوب في الصياغة الفنية والمـــوقف الفكري .وإذا كان المؤرخ رهين الحقيقة التاريخية، فإن الرواية الفنية تقوم على مبدأ التشابهو التماهي والمحاكاة . ثم إن الوقائع التاريخية، ما إن تنسرب إلى أغشية الفن حتى تفقد صلتها بالواقع الخارجي بالرغم من أنها تحتفظ بظلال الواقع وأطراس المرجع التاريخي، دون أن يعني هذا الكلام أن للكاتب مطلق الحرية في أن يتصرف كيف يشاء في المادة التاريخية حتى ولو أدى الأمر إلى تحريف الوقائع أو تشويه الحقيقة التاريخية؛ إذ أن عليه أن يحافظ على جوهر المادة التاريخية التي يصنع منها عالمه الروائي. وهذا ما أكده منظرو الرواية في الغرب حيث شدد لوكـــاتش على أن الرواية يجب أن "تكون أمينة للتاريخ، بالرغم من بطلها المبتدع وحبكتها المتخيلة"[16]. وهو ما يعني أن التخييل الروائي لا ينبغي أن يلغي ضرورة التزامها بالحقائق التاريخية، وحتى القارئ الذي يتلقى العمل الـــروائي لا ينتظر، حســـب "**جـــوزيفترنر**" **(Joseph Turner)**، "من المؤلف أن يحرف وقائع التاريخ المعروفة، فلو كتب روائي –على سبيل المثال– عن الملكة إليزابيت الأولى وادعى أنها خلفت أطفالا شرعيين لرفض القارئ هذا الكلام، أما إذا لفق الروائي حدثاً وقال شيئا لا ينافي الواقع التاريخي بالنسبة للقارئ ومعلوماته التاريخية فسيكون مقبولاً، فالقارئ يرفض تحريف التاريخ ولا يرفض تزويقه"[17]. وإذا بالغ الروائي في التصرف في المادة التاريخية فإن ذلك يلحق بعمله صفة التصادم والتنافر على نحو ما يشرح ذلك"**فورستر**" **(FORSTER)** وهو يتحدث عن الشخصية التاريخية في الرواية، إذ يقول: "ولما كانت الشخصية التاريخية جزءا لا يتجزأ من المادة التاريخية، فإنها تقلل من حرية الفن الروائي؛ إذ لا بد لهذه الشخصية من أن تحتفظ بالقدر المميـــز لهـــا بوصفها شخصية عاشت في حقبة زمنية معـــينة، وذلك حتى لا يكـــون ثمة تصـــادم وتنافر بين الشخصيتين التاريخية عموما والروائية المأخوذة عنها"[18]. وقد عبر لوكاتش عن حساسية الموقف الذي يجد فيه الكاتب الروائي نفسه، وهو يتعاطى مع المادة التاريخية التي تقيد حريته، بالقول: "إن ضرورة التاريخ أو الماضي بالنسبة إلى الرواية التاريخية تجعل من مشكلة الصدق للحقائق التاريخية مشكلا عويصا. فأين تبدأ حرية الكاتب فيما يتعلق بشخصية شهيرة من الماضـــي أو بعصر تاريخي بشكل عام؟"[19]،وهو السؤال الذي يضع الروائي في صراع "بين نواياه الذاتية والصدق والقدرة اللذين يرسم بهما الواقع الموضوعي وكلما سارت نواياه على نحو سهل كان عمله أضعف وأفقر وأكثر هزالا"[20]. إن المطلوب في مثل هذا الوضع هو توازي السرد التخييلي مع الخطاب التاريخي لتشكيل البنية العامة للنص الروائي ما دامت الرواية التي تستند إلى التاريخ تنهض على مرجـــعيـــتين: "مـــرجعية حقيقية متصلة بالحدث التاريخي، ومرجعية تخييلية مقترنة بالحدث الروائي"[21]. وانطلاقا من هاتين المرجعيتين تتحدد هويتها السردية من خلال التنازع بين الهاجس التوثيقي المتمثل في "الأمانة التاريخية التي تقتضي

منها بألا تجافي ما تواضعت عليه المصادر التاريخية من قيام الدول وسقوطها واندلاع الحروب والوقائع المأثورة"[22]، والهاجس الإبداعي المتمثل في مراعاة "مقتضيات الفن الروائي"[23]. فإذا حدث أن انساق الروائي وراء إعادة كتابة الحوادث والشخوص والمعطيات التاريخية، فإن ذلك يوقعه في صميم عمل المؤرخ، ويأسر عمله الإبداعي في وعي وظيفي يجعل الكتابة تابعة للتاريخ وبئيسة من الناحية الفنية والإبداعية. وبالمثل قد يسيئ الخيال الزائد إلى واقعية التاريخ، ويطمس الحقائق المعروفة، ويؤدي إلى تحريف الوقائع عن مواضعها.

إن الخلاص يكمن في التأليف الفني بين الأحداث التاريخية والأحداث الروائية، ليتشكل بذلك العالم الروائي بعرامته وزخمه وجمالياته إذ أن روعة وجاذبية الرواية التي تمتح مادتها من التاريخ تكمن في أنها تستدرج القارئ إلى عالم هو مزيج من الخيال والحقيقة مما يجعل التاريخ مسرحا حيا نابضا بالحياة يصل إلى وجدان المتلقي ويتواصل معه. ويصل الكاتب إلى تشييد هذا التواصل عندما يوازن بين الوثائقي والجمالي؛ ذلك أن الوثيقة التاريخية "مادة على الورق، يأخذها الكـــاتب فيكسوها لحـــما ودما، وينفـــخ فيها الروح لتتحرك أمامه وتدخل جسم عمله، فيصعب التمييز بينهما. تدخل مسار الحدث الرئيسي وتساهم في تطوره ونمو شخصياته. إنها مادة غنية للرواية بـــشرط أن يعرف الروائي كيف يستغلها، ويعرف متى وكيف يدمجها في حدثه الراهـــن لتســـاهم في البناء الهيكلي لروايته"[24]. هكذا تتمازج المرجعية التاريخية بالمرجعية التخيـــيلية فتتلاشى التخوم بين التاريخ والخـــيال، وبين الحقيقة والوهم.

إن وشائج القربى بين الرواية والتاريخ أقوى من أن يتم تخطيها ببساطة ، وكثيرا ما يلتبس على القارئ حمى التاريخ وحمى الرواية، فلا يتبين له خيط التاريخ من خيط الأدب، فتنهال سياط النقد شاجبة التلاعب بحقائق التاريخ مطالبة الروائي بالأمانة التاريخية مسقطة من اعتبارها طبيعة الفن الروائي وهي الخيال والخلق والإبداع. ولهذا ألفينا محمد القاضي ينتقد سامية أسعد في دراستها حول رواية "**الزيني بركات**" لجمال الغيطاني التي راهنت على الإيقاظ التخييلي لحكم المماليك في مصر القرن السادس عشر الميلادي، حين تتـــساءل قائـــلة: "أول ســـؤال يطرح هو بلا شك، هل التزم جمال الغيطاني بالتاريخ؟ وإلى أي مدى؟"[25]. فقد رأى الباحث في موقف **سامية أسعد** تهميشا للجانب التخييلي الفني في الرواية. "فما أطلقت عليه الباحثة عبارة الطابع التسجيلي أو عبارة السرد الوثائقي يجعل الرواية في منطقة الظل ويقدم مقياس الصدق على مقياس الفن"[26]. فالفن الروائي ليس مطالبا باستنساخ الوقائع و التطابق معها و الارتهان لمرجعياتها، وإنما هو مدعو إلى تأويل التاريخ جمالياً وإخضاعه لإرادته الإبداعية لإكمال التفاصيل المنسية وسبر الحقيقة المغيبة بعيدا عن مجافاة الواقع التاريخي ومناقضته.

إن الخطاب الروائي ينهض على مقوماته الجمالية الخاصة، وفي مقدمتها الخيال والانزياح عن حرفية الواقع التاريخي، ومساءلة وقائع التاريخ، وإعادة مزجها وفق رؤية الذات الإبداعية في توليفة تنضح فنا وإبداعا لخدمة مقاصد جمالية وأخرى دلالية يرومها الروائي. "إن هذه الدعوة إلى إحداث التوازن بين فلسفة الروائي وعلمه بالشيء وبين فنيته في تمثيل العمل هي دعوة إلى تحقيق الصدق. فالرواية التاريخية تحقق مبدأ الصدق إذا أعادت تكوين التاريخ بصورة ذاتية وليس بصورة موضوعية"[27]. والروائي بوصفه مبدعا، عليه أن يجعل إنتاجه صورة صادقة من نفسه وفكره وعواطفه حيال تلك الوقائع والأحداث التي يستمدها من كتب التاريخ وألا "يضيع علينا فرصة الإفادة من رؤيته الفكرية والفلسفية"[28] التي تبرز من خلال فعل التخييل. وفي غياب هذه الرؤية الخاصة بالمبدع الروائي، يتجرد النص من طابعه الإبداعي وينقل من جنس الكتابة الروائية إلى كتابة أخرى لا أصالة فيها ولا إضافة ولا تجديد.

- الهوامش:

***باحث من المغرب، دكتوراه في النقد الحديث.**

1-جـيـرالدبـرنـس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، القاهرة، دار ميريت، ط.1، سنة 2003، ص:122

2- فريال جبوري عزول، الرواية والتاريخ، فصول الهيئة العامة المصرية للكتاب، مج02،ع 02، يناير فبراير مارس 1982، ص: 294

3- المرجع السابق، ص:294.

4- بـول ريكـور، من النص إلى الفعل: أفعال التأويل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط.1، 2001، ص: 08

5- نادر كـاظـم، الرواية وإعادة تحبيك التاريخ، مجلة البحرين الثقافية مج12 ع41 مارس 2005، ص: 10

6-نفسه،ص:10

7- انظر: **فريال جبوري غزول**، مرجع مذكور، ص: 294

8-نادر كاظم: مرجع مذكور، ص: 10

9- أنظر: **أحمد حسن اللقاني**، اتجاهات في تدريس التاريخ، عالم الكتب، القاهرة ط.2، 1978، ص: 51

10- بنسالم حميش: شهادة الرواية، مقدمات المجلة المغاربية للكتاب، عدد مزدوج 13-14 صيف خريف1998، ص: 134

11-أنجلو أوسينويوس وآخرون: النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص:237.

12-أدوين موير بناء الرواية ،ترجمة إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف و الطباعة (دت) ص:121.

13-محمد نجيب لفتة، ولتر سكوت و الرواية التاريخية، المجلة الثقافية،الجامعة الأردنية،ع40 اذار 1997،ص:188

14- **محمود أمين العالم**، الرواية بين زمنيتها وزمنها، مقاربة مبدئية عامة، فصول الجزء 2، المجلد 12، العدد 01 ربيع 1993، ص: 16

15-محمد أقضاض، النقد الأدبي والفضاء الثقافي، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ط.1، 1991، ص:20

16-**جورج لوكاتش**، الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط.2، 1986، ص:215

17-فريال جبوري غزول، مرجع مذكور، ص: 295

18-أ.م. فورستر،أركان الرواية، ترجمة موسى عاصي،دار جروس برس،طرابلس، لبنان، ط.1، 1994، ص:60

19-لوكاتش، مرجع مذكور، ص: 399

20- **لوكاتش**، مرجع مذكور، ص: 139

21-عبد الفتاح الحجمري، هل لدينا رواية تاريخية، فصول، المجلد 16، العدد 03، 1997، ص: 61

22- محمد القاضي، الرواية والتاريخ، فصول، المجلد 16، العدد 04، ربيع 1998، ص: 43

23-نفسه، ص: 43

24- نبيـــل سليـــمـــان، المنعطف الروائي العربي الجديد للرواية العربية، أبحاث وشهادات، الآداب ع 8/7 تموز آب 1997، ص: 34

25-سامية أسعد، الروائي والتاريخ، فصول، المجلد 2، العدد 2، يناير، فبراير، مارس 1982، ص: 69

26- محمد القاضي، الرواية والتاريخ، مرجع مذكور، ص: 45

27-نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط.1، 2006، ص:126

28- عباس عبد الحليم عباس، إحسان عباس بين التراث والنقد الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 2002، ص: 359